المجموعة « السمكة الطائرة » نصاب بخيبة أمل حقيقية . فالقصة هي مجرد ريبورتاج صحفي عادي جدا بصوتين . يبقى في حدود وصف المعارك الجوية وسيكولوجية الطيار. أما الجهد المشترك والوصول فعلا الى طريقة مشتركة في الكتابة ، فهذا غائب بشكل شبه كامل عن هذه القصة . اما موضوع الكتابة الجماعية او المشتركة ، فيبقى موضوعا أساسيا ، يطرح نفسه ، من خلال ضرورة البحث عن أشكال الممارسة الادبية الجماعية داخل افق الممارسة الثورية . لكن البقاء عند حدود كتابة مشتركة بهذا الشكل الانطباعي ، فانه لا يقدم شيئا الى صلب المسألة التي يعيد هذا الكتاب طرحها . فالاطار العام الذي تطرحه مجموعة قصصية سريعة، تريد محاولة التأريخ لحدث سياسي — عسكري هام ، يبقى خارج مجاري الممارسة الادبية لروائي مثل حنا مينة ، حاول في رواياته البحث من ضمن منظور محدد ، عن الرواية الواقعية .

لا يزال الادب العربي ، بعيدا عن ما يسمى أدب الحرب . فعلى الرغم من الحروب والمعارك التي خضناها في الربع الاخير من هذا القرن ، فنحن لا نزال غير قادرين على ابداع ادب ينقل الهموم اليومية للمعركة في اطار انساني شامل . فالكتابة عن الحرب ، لا تزال في مجملها كتابة انطباعية ، تتوقف عند الظاهرة مهملة جذورها . لذلك تتخلى عن المسألتين : البناء الادبي الحقيقي ، والتعبير الواقعي عن المعركة من داخلها . فنبقى على اطراف المسألة ، غير قادرين على الاحاطة بطرفي المعادلة. فتأتي الكتابة قريبة من أسلوب الاعلام السياسي المباشر . وتبقى التجربة الانسانية الحية في الحياة نفسها . أي ان القصة او الرواية ، حين تتوقف عند حدود مباشرة ، تفقد قدرتها على الانطلاق من لحظة ممارسة حية لتقوم بربطها بجميع أبعادها الانسانية . التفسير الممكن لغياب هذه الظاهرة ، هو طبيعة المجتمع العربي ، الذي لا يستطيع تعبئة جميع قواه في المواجهة مع العدو . غير ان هذا التفسير على صحته المبدئية ، يجب ان لا يحجب القصور الذاتي الذي نعاني . فالانفعال وحده لا ينتج أدبا حقيقيا يستطيع المخاطبة الانسانية . لان هذا الادب لا ينتج الا من داخل المخاطبة نفسها .

ان الطموح المشروع الذي تعبر عنه مجموعة حنا مينة ونجاح المطار ، يمكن ان يقود الى نتائج فنية حقيقية . لذلك فنحن حين نتعامل مع هذه التجربة القصصية نتعامل معها من منظور مستقبلها. فهي حين تطرح الكتابة من داخل الممارسة في اطار مشترك ، فان هذا الطرح بحد ذاته هو علامة ايجابية . لكن الموقف التسجيلي الانطباعي وحده ، لا يستطيع الوصول الى نتائج فنية . لذلك تبقى هذه التجربة ، علامة بحاجة الى العودة مجددا نحو الابتعاد عن المباشرة ، في سبيل الوصول الى ممارسة ادبية حقيقية .

الحكاية الشعبية الفلسطينية

لا تزال دراسة عناصر « الثقافة الشعبية » بشكل علمي غائبة عن مكتبتنا . لذلك فان أهمية كتاب نمر سرحان « الحكاية الشعبية الفلسطينية » مزدوجة ، لانه من جهة أولى يسد نقصا فادحا في المكتبة العربية ، ولانه في تناوله لموضوع بحثه يتبع طريقة علمية اكاديمية ، تحاول عدم الوقوف عند الظواهر وحدها ، بل تقوم بمحاولة تفسير لهذه الظواهر في مستوياتها الثقافية والسياسية والاجتماعية . والحكاية الشعبية الفلسطينية هي جزء من تراث ثقافي شعبي لا يزال ضائعا في اكثريته الساحقة ، لان ميدان الدراسات الاتنولوجية لا يزال غائبا بشكل شبه كامل عن اهتماماتنا الثقافية.

في مقدمة الكتاب يوضح المؤلف منهجه : « ان المنهج الذي اتبع في دراسة الحكايات التي اعتمدت عليها هنا هو منهج **وظيفي** ، بقصد محاولة استقراء حياة الشعب العربي الفلسطيني وآماله وتطلعاته

نمر سرحان : **الحكاية الشعبية الفلسطينية** . مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية والمؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، ايار ١٩٧٤ .